مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد التاسع / العـدد الثاني
(8 رجب 1447هـ/ 28 ديسمبر 2025م)، ص 191– 212

المشربية بالجزائر خلال العهد العثماني، امتدادها التاريخي ودورها الحضاري

Mashrabiyas in Algeria during the Ottoman era: their historical extension and cultural role

[1] ط.د/ مكاتي شهرزاد MEKATI CHAHRAZED

[1] جامعة الجزائر 2 (أبو القاسم سعد الله، الجزائر) Université Alger 2, Abu Al-Qasim Saadallah

المؤلف المرسل: ط.د/ مكاتي شهرزاد البريد الالكتروني: chahrazed.mekati@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 30 /2025/05 تاريخ القبول: 17 /2025/06 تاريخ النشر: 28/12/ 2025

الملخص:

ازدهرت الجزائر دائما بتنوعها الثقافي والتاريخي، الذي كان يزخر بمختلف الحضارات العريقة التي ساعدت في صقل ثقافتها لتُصبح غنية بتُراثها وآثارها التي تشهد على امتزاج التأثيرات المحلية مع التيارات الفنية والتقنية القادمة من خارج البلاد خاصة في مجال العمارة، ومن بين أهم الحضارات التي أثرت على التاريخ الجزائري وخاصة المعماري هي الحضارة العثمانية، التي تأصلت وغرست جذورها خاصة لما حملته من تقدم وازدهار في تلك الفترة في مجال الفن والعمارة والصناعات التقليدية، لتبرز العمارة المدنية التي استخدمت في ذلك الوقت تقنيات صناعية مبتكرة جمعت بين التقنيات المحلّية والوافدة، ومن بين العناصر المعمارية الزخرفية التي وفدت مع العثمانيين هي صناعة الخشب ومنه المشربيات التي تميزت بها مُعظم العمائر الإسلامية في مصر و سوريا وحتى شبه الجزيرة العربية و تركيا، لتعب دورٌ مهم في تزيين المباني الإسلامية، والتي لازالت لحد الآن تُعتبر احد التحف المعمارية التي يصعُب تقليدها. وعليه تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية المشربية في العمارة الإسلامية ودورها في تشكيل الهوية المعمارية العثمانية، كما تسلط الضوء على إعادة توظيفها في مشاريع معمارية حديثة مثل معهد العالم العربي في باريس وبرج

الدوحة ومتحف اللوفر في أبو ظبي، حيث تم دمجها مع مواد وتقنيات معاصرة لتلائم متطلبات العصر الحديث.

الكلمات المفتاحية: المشربية؛ العمارة الإسلامية؛ الجزائر؛ العمارة الحديثة؛ العهد العثماني.

Abstract:

Algeria has always flourished with its cultural and historical diversity, which was replete with various ancient civilizations that helped refine its culture, making it rich in its heritage and monuments that testify to the blending of local influences with artistic and technical trends coming from outside the country, especially in the field of architecture. Among the most important civilizations that influenced Algerian history, especially architecture, is the Ottoman civilization, which took root and planted its roots, especially due to the progress and prosperity it brought during that period in the fields of art, architecture and traditional industries, to highlight the civil architecture that used innovative industrial techniques at that time that combined local and imported techniques. Among the decorative architectural elements that came with the Ottomans is the wood industry, including mashrabiyas, which distinguished most Islamic architecture in Egypt, Syria, and even the Arabian Peninsula and Turkey, playing an important role in decorating Islamic buildings, which are still considered one of the architectural masterpieces that are difficult to imitate. Accordingly, this study aims to highlight the importance of the mashrabiya in Islamic architecture and its role in shaping Ottoman architectural identity. It also highlights its re-employment in modern architectural projects such as the Arab World Institute in Paris, the Doha Tower, and the Louvre Museum in Abu Dhabi, where it has been combined with contemporary materials and techniques to suit the requirements of the modern era.

Keywords: Mashrabiya; Islamic architecture; Algeria; Modern architecture; Ottoman era.

1. مقدمة:

تُعدُّ المشربية إحدى أبرز الفنون المعمارية التي أثرت بشكل عميق في العمارة الإسلامية والعربية على مر العصور، إذ قامت على دمج عدة أبعاد فنية في آنٍ واحد، منها الجمالية والوظيفية والروحانية. لقد استطاعت هذه التحفة الفنية أن تُحافظ على خصوصية المساحات الداخلية مع إضفاء طابع جمالي مميز، بالإضافة إلى توفير نظام تهوية طبيعي يُساهم في تجديد الهواء وتنظيم درجات الحرارة داخل المباني.

كل هذا جعل المشربية تحظى بمكانة رفيعة في التراث المعماري الإسلامي، وذلك لما تحمله من ارتباط وثيق بالبيئة والاحتياجات الإنسانية. فقد نشأت المشربية لتلبية متطلبات وظيفية وجمالية في آن واحد، إذ كانت تُستخدم لتوفير التهوية الطبيعية التي تساعد على تجديد الهواء وتقليل درجات الحرارة، مما يُشكل حلاً بيئياً فعالاً في مواجهة مناخات المناطق الجافة. كما لعبت دوراً مهماً في الحفاظ على خصوصية سكان المنزل، خاصة النساء، متماشيةً بذلك مع تعاليم الدين الإسلامي التي تدعو إلى حفظ الحياء والخصوصية في الحياة اليومية.

المشربية كانت حلاً تصميمياً مثالياً للدول التي يسودها الطقس الجاف، مثل الدول العربية ومصر، حيث أثبتت فعاليتها في توفير بيئة معيشية مريحة رغم الظروف المناخية القاسية. ومن خلال هذا البحث، نهدف إلى استكشاف الوظائف البيئية التي تؤديها المشربية بالتفصيل، وتوضيح المعايير التصميمية الدقيقة التي تميزها. كما سنتناول مدى تأثير المشربية على العمارة العثمانية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، وكيف ساهم هذا التفاعل بين التقنيات المحلية والوافدة في تشكيل هوية معمارية فريدة تجمع بين الأصالة والابتكار.

أما في العمارة المعاصرة، لا تزال المشربية مصدر إلهام للمصممين، حيث يجري توظيفها بأساليب حديثة تتناسب مع التطورات التكنولوجية والتوجهات البيئية المستدامة. إذ ساهمت

الثورة الرقمية في تمكين المعماريين من إعادة تفسير المشربية باستخدام مواد متطورة مثل الألمنيوم والزجاج الذكي، مع دمجها في أنظمة تكييف وتحكم بيئي متقدمة. أصبح استخدامها لا يقتصر على التزيين، بل امتد إلى تحسين كفاءة الطاقة وتقليل استهلاك الموارد، مما جعلها حلاً معمارياً مستداماً في المباني الحديثة، خاصة في المناطق ذات المناخ الحار. تُعد هذه التحولات امتداداً لوظائفها التقليدية، مما يؤكد على مرونتها وقدرتها على التكيف مع متطلبات العصر، مع الحفاظ على قيمها الجمالية والوظيفية المتجذرة في العمارة الإسلامية.

ومن خلال هذه الدراسة سيتم التطرق للمشربية كعنصر معماري تاريخي امتدت جذورها لتصل للعصر الحالي، إذ استطاعت كسب مكانة هامة في عدة مشاريع ومباني معاصرة.

لدراسة هذا الموضوع بشكل شامل ودقيق تم تقسيم البحث وفقا لما يلي:

2. مفهوم المشربية :

تعددت المفاهيم والدراسات بحيث عُرفت المشربية وفق عدة تعريفات، وفيما يلي سيتم التطرق لأبرزها.

لغة: شرب الماءَ وغيره شَرْباً وشُرْباً وشِرْباً، شرب الماء ونحوه، جرعه وابتلعه، مصدقا لقوله تعالى "أفرأيتم الماء الذي تشربون"[1] ، والشربة (بتشديد الشين وفتحها وسكون الراء) المرة من الشرب، والمشربة(بفتح الميم والراء وسكون الشين) الموضع الذي يشرب منه، والمشربية (بكسر الميم وسكون الشين وفتح الراء): إناء يشرب فيه، والمشربة(بفتح الميم وسكون الشين وضم الراء): الأرض اللينة دائمة الخضرة، والشرب: جمع أشربة، ما يشرب من أي نوع من المانعات وعلى أي حال كان، والشرب (بتشديد الشين وكسرها وسكون الراء): النصيب من الماء المشروب مصدقا لقوله تعالى: "كلوا و اشربوا هنيئا بما كنتم تعملون".[2]

اصطلاحا: تُشير إلى شُرْفة مُغلقة خشبية مُعشَّقة بطريقة فنِّيَّة تُطِلّ أو تشرف على الأماكن التي حولها، لتُصبح عنصر معماري وزخرفي لفتحة ذات شبكة مخرمة، مكونة من قطع خشبية صغيرة، ذات أشكال مختلفة ومتنوعة، تفصل بينها مسافات محدودة ومنتظمة بشكل هندسي دقيق وزخرفي فني وبالغ التعقيد، مما يجعل له جمال خاص.[3]

كما تُعرف على أنها ألواح صغيرة من الخشب الخرط الدقيق المتشابكة أو المتقاطعة والمتصلة بواسطة التجميع والتعشيق، ضمن أطر أو سدايب حسب تصميمات مسبقة، مكونة أشكال هندسية مختلفة، استخدمت كشرفات وستائر أو أحجبة توضع في فتحات نوافذ الواجهات الداخلية والخارجية، وهي ابتكار ومعالجة معمارية إسلامية. (4)

لتختلف وتتعدد تسمياتها عبر مختلف أرجاء العالم الإسلامي، حيث أُطلق في العهد المملوكي باسم "الروشن"، (5) أما في العراق فكانت تُسمى "الشنشول" أو "الشناشل".(6)

مما سبق، يمكن القول بأنه مهما تعددت التعاريف الواردة في مصطلح المشربية أو تعددت مسمياتها وأصولها، إلا أن جميعها قد اتفق على كونها عنصر معماري يُشير لفتحة ذات شبكة مخرمة، مكونة من قطع خشبية صغيرة متباعدة فيما بينها بمساحات مُحددة ودقيقة، زُخرفية تختلف في أشكالها، مُصممة بشكل هندسي منتظم يعطي نظرة جمالية ولمسة فنية فريدة.

1.2. نشأة المشربية وأصلها التاريخي :

أصل الكلمة: يتفق معظم الباحثين على أن أصل كلمة "مشربية" يعود إلى الفعل "شرب"، ما يشير إلى مكان تناول الماء، ومنه جاء المصطلح، إذ كان يُستخدم لوضع جرار الماء أو ما يُعرف بالقلل لتبريده. (7) بالمقابل، يرى بعض الباحثين أن الكلمة قد تكون مشتقة من "مشرفية"، التي تعني المراقبة والرؤية والإشراف، في إشارة إلى دورها الخارجي في الإشراف على الشارع. (8)

الأصل التاريخي: ترجع أصول المشربية إلى العصور الإسلامية المبكرة، حيث كانت تُستخدم في المناطق الحارة مثل مصر والشام ودول الخليج العربي لتوفير التهوية المناسبة داخل المباني مع الحفاظ على الخصوصية. يُعتقد أن فكرة المشربية نشأت لأول مرة في العمارة الأندلسية خلال القرون الوسطى، قبل أن تنتشر وتصبح عنصرًا أساسيًا في العمارة الإسلامية. يعود

تاريخ ظهورها إلى القرن العاشر الميلادي عندما برزت في دمشق، ثم امتدت إلى المدن الكبرى مثل القاهرة وبغداد. في بدايتها، كانت المشربية تُصمم كهياكل خشبية بسيطة مزودة بفتحات صغيرة تسمح بتدفق الهواء وتساهم في تبريد المنازل خلال الصيف الحار. ومع مرور الزمن، تطورت لتصبح جزءًا لا يتجزأ من واجهات المباني، مع زخارف دقيقة وتعقيدات فنية تضفي عليها جمالية مميزة في المشهد المعماري.

لتكون المشربية أحد العناصر المعمارية التي استوحاها الفنان المسلم من تعاليم شريعته، حيث لعبت العقيدة الإسلامية والنظم الاجتماعية دورًا مهمًا في تشكيل خصائص العمارة الإسلامية، خاصة لما تتضمنه من قيم وتعاليم في خصائص العمارة، كالحفاظ على الخصوصية الأسرة المسلمة باعتبارها ركيزة المجتمع، وذلك بتصميم نوافذ تطل على الشارع بطريقة تعتمد على المشربيات. مما منح المنازل ميزة خاصة من التستر والمحافظة على حرمة الأسرة وحماية أصحابها من عيون المارة وكذلك البيوت المقابلة، وذلك لمميزات المشربيات المصنوعة من خشب الخرط بتصميم يسمح لمن بداخل المنزل برؤية الخارج دون أن يتمكن الآخرون من رؤيتهم، حيث تكون الفراغات بين الخشب صغيرة جدًا. ولم تقتصر المشربيات على النوافذ المطلة على الشارع، بل وُجدت أيضًا مطلة على الفناء الداخلي، لتوفر مزيدًا من الخصوصية لأفراد المنزل وتحجب الرؤية عن الزوار والغرباء أثناء وجودهم في البيت.

كما استخدمت أيضا كفواصل للعزل بين الجنسين داخل نفس البيت، وبذلك حققت المشربية الخصوصية على مستوياتها المختلفة مما جعلها تنتشر بسرعة في العديد من المناطق الإسلامية المختلفة لتحقيق نفس الغرض على الرغم من اختلاف أشكالها ومسمياتها من منطقة لأخرى. لتصبح المشربية لا تقتصر على كونها عنصراً معمارياً هاماً بيئياً فقط، وإنما عنصرا ثقافيا يرتبط ويعكس هوية العمارة الإسلامية.

وفيما يلي سيتم عرض أحد صور المشربية بمختلف إطلالتها سواء داخل المنزل أو خارجها:

1 **الصورة رقم 01:** إطلالات المشربية الداخلية والخارجية

المصدر: الموقع الالكتروني: https://muhandes.net/?p=1736 تم الاطلاع بتاريخ: 2024/12/13، على الساعة: 22:14.

توضح الصورة السابقة مجموعة من النماذج التقليدية للمشربية مبرزة تفاصيل التصميم الفني واللمسة الإبداعية التي أضفتها للمنازل بمختلف إطلالاتها سواء بداخلها أو خارجها.

2.2 . أدوار المشربية: أدت المشربية عدة وظائف متكاملة في العمارة الإسلامية، أبرزها:

الدور المناخي: من أهم أدوار المشربية المناخية هو التخفيف من أشعة الشمس المنبعثة في الغرف عبر فتحات الخرط الخشبي والفراغات التي تربط بينها حيث يتم التحكم في الضوء وللتعويض عن تضاؤل الإضاءة تستعمل وحدات الخرط أكبر في الجزء العلوي من المشربية، تنتهي المشربية من أعلى برفوف تعمل على منع ضوء الشمس المباشر [9]، يمكن عن طريق المشربية

التحكم في سرعة الهواء وتدفقه داخل الحيز الداخلي. كما أن هذا البروز يساعد المارة أيضا حيث يستظلون به في الشارع صيفا ويتوقون المطر شتاء كما أن المشربية تغطي الجدار المواجه للشارع وتحافظ عليه من الشمس والمطر.

علاوة على ذلك، للمشربة ميزة خاصة تتمثل في ضبط رطوبة الهواء، [10] ويرجع هذا للمادة المصنوعة بها المشربية المتمثلة في الخشب الذي يعتبر مادة مسامية طبيعية مكونة من ألياف عضوية تمتص الماء وتحتفظ به ثم بعد ذلك يمكن أن تطلقه، وتضبط رطوبة تيار الهواء عن طريق امتصاص بعض رطوبة الهواء المار من خلالها في الليل وفي النهار تطلقها عند تعرضها أشعة الشمس ولكن يجب طلائها بمواد تساهم في سد مساميته.

الدور الاجتماعي الديني: تلعب المشربية دورًا اجتماعيًا ودينيًا مميزًا، إذ تُوفر للمرأة الخصوصية داخل مسكنها الذي يُعتبر عالمها الخاص. تعمل المشربية بمثابة ستارة تتيح لها رؤية ما يحدث بالخارج دون أن يكشف ذلك للآخرين، وذلك بفضل التخريمات الدقيقة في تصميمها وبروزها الذي يسمح بدخول التيارات الهوائية [11]. من جهة أخرى، تكون إنارة الشارع خلال النهار أكثر سطوعًا مقارنةً بالإضاءة داخل المنزل؛ ومن جهة أخرى، تُعيق الزخارف والنقوش الخشبية الرؤية لمن يقف على مسافة بعيدة، كما يُساهم الزجاج الملون في تشويش المشهد لمن يتطلع من الخارج. كل هذه المزايا مكّنت النساء من رؤية ما يحدث في الشارع عبر نوافذهن دون أن يلمحهن أحد [12].

3. المشربية في الفترة العثمانية :

كان استخدام المشربية في الديار العثمانية نتيجة لتداخل العوامل المناخية والدينية، إذ ظهرت برقة وانسجام مع تصميم المبنى، وكانت تغطي تقريبًا كامل البروزات الخارجية. ومع مرور الوقت، شهد تصميمها تحولاً ملحوظًا، حيث أضيفت إليها مواد جديدة إلى جانب الخشب، مثل الآجر والزجاج. فقد استُخدم الآجر في الأجزاء السفلية لتشكيل قواعد منتظمة، فيما استُبدلت التخريمات الخشبية بنوافذ زجاجية، مما جعل الخشب يظهر بشكل صمّ. ويُعزى هذا التغيير إلى التأثيرات الأوروبية التي غيّرت أنماط البناء والمنشآت العمرانية في تركيا، بما في ذلك

المساجد. [13] ومن أحد أهم الأمثلة عن المشربية في الجزائر التي تم تشييدها خلال العصر العثماني يوجد:

الصورة رقم (02): أبرز المشربيات بالجزائر

المصدر: زهيرة حمدوش

مشربية قصر القلعة: تُعَدُّ مشربية قصر البايات بالقلعة خير مثال على المشربيات في الفترة العثمانية بالجزائر. يقع القصر داخل قصبة مدينة الجزائر في القسم الشرقي منها، ويُعتبر ثاني أهم مبنى في القصبة بعد قصر الداي، إذ بُني في عام 1817م. تتميز مشربية القصر بإطار خشبي يُحاوطها من أربع جهات، وتُقسم إلى تسع حشوات مستطيلة مرتبة في ثلاثة صفوف أفقية وعمودية، وقد نُفذت بأسلوب الخرط الميموني.[14]

مشربية قصر أحمد باي: تقع مشربية قصر أحمد باي في رواق الطابق العلوي من جناح الحريم وتطل على حديقة البرتقال، حيث تسبقها غرفة فاطمة بنت الباي التي تُشكّل منظرة ملحقة بالغرفة. تتميز المشربية بثلاثة انكسارات تُتيح إضاءة خفيفة للرواق من جهة وتوسّع مجال الرؤية من عدة اتجاهات؛ إذ تتكوّن من جهة غربية بها إطار واحد، وجهة جنوبية تحتوي على إطارين متساويين في الحجم، وجهة شرقية تضم إطارين حيث يكون الأول مماثلًا لما في الجهة الغربية

والثاني يمثل نصف حجم الإطار الأول، ويفصل بينهما دعامة من الآجر أو أعمدة من الرخام. كما يتألف إطار المشربية الواحد من ثلاثة أقسام؛ القسمان العلوي والسفلي متشابهان في احتوائهما على خمس حشوات مستطيلة مرتبة أفقياً ومترابطة بتقنية التعشيق ونُفذت بتقنية الحفر البارز والمائل، بينما يتكوّن القسم الأوسط من حشوات مربعة نُفذت بأسلوب الخرط الميموني بدقة، بحيث يصل عددها إلى خمسة عموديًا وأربعة أفقيًا. وأضيف إلى ذلك استخدام الزجاج الملون من الداخل لمنع دخول الرياح والغبار وإضفاء منظر جمالي متميز على المشربية. (15)

1.3 .كيفية تصنيع المشربية:

يتم تصنيع المشربية باستخدام مواد متنوعة، من بينها الخشب الذي يُعد المادة الأساسية التي يعتمد عليها الحرفيون نظرًا لسهولة تشكيله وقدرته على ابتكار النقوش والزخارف. ومع مرور الزمن، توسعت تقنيات صناعة المشربية لتشمل استخدام الحديد والزجاج في بعض الحالات، مما أضفى عليها تنوعًا أكبر في الاستخدام. من الناحية التقنية، تُستخدم ثلاث طرق في تصنيع المشربية؛ فالطريقة الأولى هي تقنية الخرط التي تُعد التقنية الرئيسية وتظهر في الجزء العلوي لتمنح المشربية مظهر ستار خشبي مخرم، بينما تُستخدم طريقة التجميع في تجميع وحدات الخرط والصبغ، وتظهر في الجزء السفلي حيث يتم توظيف زخارف نباتية رائعة بألوان متباينة.

تقنية الخرط: تنوعت عناصر الخرط بين الرشاقة والبدانة، وبين الأشكال البسيطة والمركبة، وهي من بين أهم التقنيات التي استخدمها الفنان في زخرفة تحفه الخشبية والتي بلغت مستوى عاليا من الإتقان الإبداع في العصر المملوكي العثماني، وفيها تتشابك مجموعة من الوحدات الخشبية الصغيرة المتساوية والمتشابهة في الشكل والحجم.(16) وهي عبارة عن قطع طولية ذات مقاسات معينة سميت بالمصبعات،(17) تجمع ببعضها البعض طبقا لتصميم هندسي معد مسبقا، بطريقة أفقية أو رأسية التجميع، من أجل تكوين أشكال فنية مخرمة غاية في الجمال والروعة (18) والخرط على نوعين: الخراطة الواسعة أو كبيرة الحجم، يعرف فيها الخرط باسم خرط البرامق(19) ويطلق عليها في العراق اسم "زكات"، يختلف طولها وسمكها حسب الشكل المطلوب، وهي مربعة

أو مسدسة أو مثمنة أو دائرية الشكل حيث تصنع بها أرجل الكراسي والمناضد وخرط الحواجز والأعمدة وأمثلتها، وقوائم الدكك والكوابيل و الدرابزينات. [20]

أما النوع الثاني فيقصد به الخرط الدقيق أو ما شاع بخرط المشربية[21] ويعرف عند الأتراك باسم المشابك "Muchaabbek"، وهو الذي يستخدم في صناعة الستائر الخشبية المكونة أساسا من أجزاء صغيرة من الخشب تجمع مع بعضها البعض حتى تشكل شبكات وحواجز مفرغة تزينها زخارف جميلة.[22]

إذ تتم تقنية الخرط باستعمال دولاب يدوي يحرك يدويا لتشكيل بعض الخطوط المتدرجة حول الأشكال المراد خرطها، وكذلك باستعمال أزاميل حادة ومختلفة الاشكال كالمائلة والقاطعة والمستديرة، ولكل نوع وظيفة في الكشط وتقليل القطر وعمل تجاويف والقطع وغيرها بالإضافة الى أدوات أخرى كالفرجار المستعمل في قياس الأقطار وضبط أبعاده[23] وقد كان للعامل الاقتصادي والمناخي دور كبير في ازدهار تقنية الخرط في العالم الإسلامي، فأما بالنسبة للعامل الاقتصاد فيتمثل في افتقار العالم الإسلامي للخشب الجيد لذا عمل النجارون على استعمال أجزاء وقطع الخشب مهما كانت صغيرة الحجم، وعدم تبذير أي قطعة منها، وتحويلها إلى قطع فنية متساوية تركب في مساحات كبيرة ينتج عنها أشكال فنية متنوعة، أما بالنسبة للعامل المناخي فمن الملاحظ أن الأشغال الخشبية المنفذة بأسلوب الخرط تسمح وتساعد على ضبط مرور الهواء وتدفق الهواء النقي ودخول الضوء، مع العلم أنها تخفف من حدة الحرارة وأشعة الشمس صيفا، وذلك بالحد من الإضاءة الطبيعية وبالتالي كسر حدة الضوء المبهر للشمس في الخارج وزيادة رطوبة التيار الهوائي. لهذا عمل النجار على أن تكون فتحات المشربية ضيقة من أسفل مستخدما في ذلك تقنية الخرط الدقيق، ومتسعة من أعلى مستخدما فيها تقنية الخرط الواسع، حتى يسمح بولوج التيار الهوائي. [24]

ومن خلال النموذج فان التقنية المستخدمة هي تقنية الخرط الميموني العدل، وهذا ال يعني أن الفنان بالجزائر خلال الفترة العثمانية لم يعرف أنواع أخرى من الخرط غير أن مادة الخشب سريعة التلف بسبب العوامل الطبيعية مما سبب تلف اغلب النماذج، والدليل على ذلك وجود مختلف التقنيات في الأشغال الخشبية المحفوظة لسيما في درابزينات القصور أو على المنابر الخشبية أو الأبواب أو غيرها من الأشغال الخشبية المحفوظة بالمتاحف الجزائرية أو في المعالم الأثرية.

طريقة التجميع والتعشيق: تعتبر تقنية التعشيق والتجميع من الطرق الصناعية والزخرفية التي شاع استخدامها من طرف الفنان في انجاز الأعمال الخشبية في العهد العثماني، وهي ابتكار إسلامي تعود أقدم النماذج التي وصلتنا بهذه التقنية إلى القرن 4هـ/10م، وفي الغالب ظهرت خلال العهد الفاطمي، لتعرف تطورا وتقدما خلال الفترات اللاحقة[25] ففي البداية كانت هذه الحشوات تتميز بكبر حجمها، ثم سرعان ما بدأت تصغر شيئا فشيئا حتى أصبحت الحشوة الواحدة ال تتجاوز السنتيمتر الواحد[26] وفيها تستخدم قطع صغيرة أو حشوات مختلفة الأحجام والأشكال ذات سمك معين[27] من الخشب يتم جمعها مع بعضها البعض لتوضع على الأسطح الخشبية المراد زخرفتها، وتعشق داخل إطارات.[28]

2.3 . استخدامات المشربية في العمارة الحديثة:

امتدت المشربية ليتم استخدامها في العمارة الحديثة والتصميمات المعاصرة، حيث شهدت العقود الأخيرة اهتماماً متزايداً بإعادة توظيفها بأساليب وتقنيات حديثة تتناسب مع متطلبات العصر. يأتي هذا الاهتمام في سياق البحث عن حلول معمارية مستدامة تستفيد من التراث المعماري المحلي وتدمجه مع التقنيات الحديثة. وقد تجلى هذا التوجه بوضوح في أعمال معماريين عالميين بارزين، وفي مقدمتهم المعماري الفرنسي جان نوفيل، الذي يعد من أبرز المعماريين الرائدين الذين تأثروا بالمشربيات الحديثة. إذ قدم تصميماً ديناميكياً للنافذة العربية المحلية، ليُمثل معهد العالم العربي في باريس (1987) نقطة تحول مهمة في إعادة تصميم المشربية التقليدية بأسلوب معاصر. ليُصبح فيما بعد إلهاماً لمشاريع أخرى. ليكون هذا النجاح بمثابة الانطلاقة نحو

تصميم مبنيين آخرين للحماية من أشعة الشمس القاسية في الشرق الأوسط وهما برج الدوحة، ومتحف اللوفر في أبو ظبي.

3.3. أمثلة لتطبيقات المشربية في المباني المعاصرة :

تتجلى أهمية المشربية المعاصرة في قدرتها على المزج بين الجوانب الثقافية والبصرية والتقنية، بما يحقق التوازن بين الهوية المحلية والأداء البيئي المتميز. وقد تحولت تقنية النافذة الشرقية في العديد من مباني الشرق الأوسط الجديدة إلى واجهات مزدوجة تساهم في زيادة كفاءة التبريد الداخلي للمباني، وهو ما يظهر بوضوح في مبانٍ معاصرة يمكن التطرق لأهمها وفقا لما يلي:

– معهد العالم العربي – باريس: يعد معهد العالم العربي في باريس، الذي صممه جان نوفيل عام 1987، من أوائل المشاريع المعاصرة التي استلهمت مفهوم المشربية وأعادت تفسيره بأسلوب حديث. قدم نوفيل في هذا المبنى إعادة تصميم ديناميكي للنافذة العربية المحلية، من خلال واجهة تفاعلية تتكون من وحدات هندسية مستوحاة من المشربية التقليدية، ولكنها مصنوعة من المعدن والزجاج بدلاً من الخشب.

تتميز واجهة المعهد بقدرتها على التكيف مع مستويات الإضاءة المختلفة، حيث تم تصميم وحدات هندسية تتحرك آلياً وفقاً لشدة الضوء الخارجي، فتنغلق عند اشتداد أشعة الشمس، وتنفتح عند انخفاض مستويات الإضاءة. هذا التصميم المبتكر يعكس الوظيفة الأساسية للمشربية التقليدية من تنظيم دخول الضوء والهواء إلى المبنى، ولكن بطريقة آلية حديثة تستجيب للظروف البيئية المتغيرة. (29)

الصورة رقم (03): تصميم المشربية الحديثة بمعهد العالم العربي – باريس

المصدر: أندريا لوريا، **المعهد العربي العالمي في باريس... إضاءات وفراغات وشفافية**، 2023/09/07، مُتاح على الرابط: https://alseyassah.com ، تم الاطلاع بتاريخ: 2024/11/26، الساعة: 21:45.

– برج الدوحة – قطر: يمثل برج الدوحة في قطر، الذي صممه جان نوفيل عام 2012، نموذجاً بارزاً لإعادة تفسير المشربية في العمارة المعاصرة. يتميز هذا البرج الذي يبلغ ارتفاعه 200 متر بواجهة معمارية فريدة تعكس الهوية المحلية وتستجيب للظروف المناخية القاسية في المنطقة. على عكس ناطحات السحاب التقليدية ذات الواجهات الزجاجية المعتادة، يتميز برج الدوحة بواجهة مبتكرة تجمع بين الزجاج وعناصر من الألمنيوم مرتبة بطريقة خاصة. إذ تتألف واجهة البرج من أربعة عناصر ألمنيوم مرتبة وفق نمط محدد يستجيب للجهات الأربعة للمبنى، بنسب مختلفة من التثقيب حسب اتجاه كل واجهة وشدة التعرض لأشعة الشمس. هذا التصميم المبتكر يجسد إعادة تفسير مفهوم المشربية التقليدية بتقنيات وخامات معاصرة، بحيث يحقق الوظائف التقليدية للمشربية من حماية من أشعة الشمس وتوفير الخصوصية، مع إضافة بعد جمالي متميز يعكس الهوية المحلية. (30)

الصورة رقم (04): تصميم المشربية الحديثة ببرج الدوحة –قطر

المصدر: شبكة الأغا خان للتنمية، **برج الدوحة، مُتاح على الموقع:**

https://the.akdn/ar/kyf-naaml/wkltn/sndwq-lag-khn-llthqf/akaa/ ، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2024/12/23، الساعة، 11:54

– متحف اللوفر –أبو ظبي: يقدم متحف اللوفر في أبو ظبي، وهو أيضاً من تصميم جان نوفيل، تصوراً مبتكراً آخر لمفهوم المشربية، حيث حول المعماري الستار العمودي التقليدي للمشربية إلى سطح أفقي يغطي المتحف. تتألف القبة المضغوطة التي تميز المتحف من عدة طبقات من المعدن مصممة بطريقة تحسن الحالة الحرارية للفراغ الداخلي. ليتميز تصميم قبة متحف اللوفر أبو ظبي بتأثيرات ضوئية حركية فريدة، حيث يشرح "جان نوفيل" ذلك بقوله: "يمر ضوء الشمس عبر ثقبين، ويقوم الثقب الثالث بحظره. ولكن هذا ما يلبث أن يتغير عند حركة الأشعة ونحصل بالنتيجة على بقع ضوئية تظهر وتختفي، وتكبر وتتقلص... إنه التأثير الحركي الذي يمكن مشاهدته بالعين المجردة لأننا سنرى في غضون 30 إلى 40 ثانية أن بقعة واحدة تكبر

بينما تختفي الأخرى". هذا التصميم المبتكر يعبر عن إعادة تفسير جوهر المشربية التقليدية وتأثيراتها الضوئية، ولكن بصياغة معاصرة تتناسب مع وظيفة المبنى كمتحف عالمي.(31)

الصورة رقم (05): المشربية بمتحف اللوفر – أبو ظبي

المصدر: : ألاء أحمد، وفاء أبو العطا، **متحف اللوفر العربي – للمعماري جون نوفيل2017**، مُتاح على الرابط: https://byarchlens.com/the-louvre-by-john-nouvel-2017-%9 تم الإطلاع عليه بتاريخ: 2024/12/22 الساعة: 10:49

4.3. التطورات التكنولوجية والابتكارات في المشربية المعاصرة: شهدت المشربية المعاصرة تطورات تكنولوجية متعددة جعلتها تتجاوز القوالب التقليدية لتصبح عنصراً معمارياً ديناميكياً يستجيب للظروف البيئية المتغيرة. فلم تعد المشربية مجرد عنصر ثابت كما كانت في الماضي، بل أصبحت في بعض المباني المعاصرة تكنولوجيا متطورة تتكيف مع المتغيرات البيئية، مثل شدة الإضاءة ودرجات الحرارة واتجاه الرياح. ويظهر ذلك بوضوح في الأنظمة الديناميكية التي صممها جان نوفيل في معهد العالم العربي، والتي تعمل وفق مبدأ فتحات الكاميرا التي تنفتح وتنغلق استجابة لشدة الضوء.

كما تطورت المواد المستخدمة في تصنيع المشربيات المعاصرة، فبعد أن كانت تعتمد تقليدياً على الخشب، أصبحت تستخدم مواد متنوعة كالألمنيوم والفولاذ والزجاج والبلاستيك وألياف الكربون، وهي مواد أكثر متانة وأقل حاجة للصيانة. ويظهر ذلك جلياً في برج الدوحة الذي استخدم الألمنيوم بدلاً من الخشب في تشكيل وحدات المشربية، مع الحفاظ على النمط الهندسي المميز للمشربيات التقليدية.

إضافة إلى ذلك، تطورت تقنيات تصنيع المشربيات باستخدام أنظمة التصميم والتصنيع بمساعدة الحاسوب(CAD/CAM) ، مما سمح بإنتاج أنماط معقدة ودقيقة لا يمكن تحقيقها بالطرق التقليدية. هذا التطور التكنولوجي مكّن المعماريين من تطويع مفهوم المشربية ليتناسب مع المباني ذات المقاييس الكبيرة، مثل ناطحات السحاب والمطارات والمتاحف، وهو ما لم يكن ممكناً مع التقنيات التقليدية.

لتُساهم المشربية المعاصرة بذلك في خلق صلة بين الماضي والحاضر، بما يعزز استمرارية التراث المعماري وتطويره بدلاً من الانقطاع عنه. هذا التوجه يقدم تصوراً جديداً للعمارة المستدامة، يرتكز على الاستفادة من التقنيات التقليدية المجربة عبر قرون، مع تطويعها لتتناسب مع متطلبات الحياة المعاصرة. وتمثل مشاريع جان نوفيل في الشرق الأوسط (برج الدوحة ومتحف اللوفر أبو ظبي) نماذج ناجحة لهذا التوجه، الذي ينطلق من الاحترام العميق للتراث المعماري المحلي، مع تطويعه بتقنيات معاصرة. [32]

5.3.دور المشربية المعاصرة في دعم البيئة والاستدامة: تكتسب المشربية المعاصرة أهمية متزايدة في سياق التوجه العالمي نحو العمارة المستدامة والمباني صديقة البيئة. فقد أثبتت الدراسات المعاصرة أن المشربية التقليدية كانت تمثل حلاً بيئياً متكاملاً يستجيب بكفاءة للظروف المناخية القاسية في المناطق الحارة، وذلك من خلال وظائفها المتعددة من تظليل وتهوية وترشيح للضوء.

وتسعى المشربية المعاصرة للاستفادة من هذه المزايا البيئية مع تعزيزها بتقنيات حديثة تحسن من أدائها. فهي تساهم في تقليل استهلاك الطاقة في المباني من خلال تقليل الاعتماد على أنظمة التكييف الصناعية. فعلى سبيل المثال، تعمل واجهات برج الدوحة المزدوجة على تحسين الأداء الحراري للمبنى، مما يقلل من استهلاك الطاقة اللازمة للتبريد رغم الظروف المناخية القاسية في المنطقة. وبالمثل، تعمل القبة المعدنية في متحف اللوفر أبوظبي على تحسين الحالة الحرارية للفراغ من خلال تنظيم دخول أشعة الشمس بطريقة مدروسة.

كما تتكامل المشربية المعاصرة مع أنظمة البناء الذكية لتحقيق أقصى استفادة من مواردها البيئية. فعلى سبيل المثال، يمكن ربط المشربيات الديناميكية بأنظمة إدارة المباني (BMS) لتتحرك وتتكيف وفقاً للظروف البيئية المتغيرة، مما يحسن كفاءة استخدام الطاقة. وتتجلى هذه المقاربة في مشاريع متطورة مثل معهد مصدر في أبوظبي، الذي يجمع بين التقنيات التقليدية والتكنولوجيا المتقدمة لتحقيق الاستدامة البيئية.[33]

4. خاتمة:

في الأخير، يمكن القول إنّ المشربية تمثّل عنصرًا معماريًا فريدًا يعكس تاريخًا طويلًا من الإبداع والابتكار في فنون البناء والتصميم الإسلامي. فهي ليست مجرد وسيلة لحجب الرؤية أو تلطيف الأجواء الداخلية، بل تُعتبر من أبرز سمات العمارة الإسلامية التي تجسّد بذكاء الفلسفة المعمارية والبيئية للمجتمعات الإسلامية التقليدية. لقد نجحت المشربية في تقديم حلول بيئية وجمالية واجتماعية، مما ساهم في تحقيق الراحة الحرارية والضوئية داخل الفراغات السكنية.

مع دخول الفترة العثمانية، انتقلت تقنية المشربية إلى الجزائر، إلا أنها لم تشهد انتشارًا واسعًا كما هو الحال في المشرق الإسلامي، مثل مصر وسوريا. يُعزى ذلك إلى طبيعة المناخ الجزائري، الذي يتميّز برطوبته وأمطاره الغزيرة، مما قد يؤدي إلى تلف الخشب المستخدم في صناعة المشربيات. بالإضافة إلى ذلك، اعتمدت العمارة الجزائرية بشكل أكبر على "الرواشن"، التي تتميّز ببروزها على الشارع وكانت غالبًا صماء، مما قلّل من استخدام المشربيات التقليدية.

أما في العصر الحديث، فقد أعاد المعماريون اعتماد المشربية كعنصر معماري تقليدي غني بالإمكانات التصميمية والوظيفية، حيث تم تطويرها لتتناسب مع متطلبات العمارة المعاصرة. لقد تجاوزت المشربية دورها كعنصر تراثي ينتمي إلى الماضي، لتصبح تقنية معمارية متطورة تستجيب لتحديات الحاضر والمستقبل، من خلال مزجها بين الأصالة والمعاصرة، وبين الهوية المحلية والتقنيات العالمية. إذ تُعد أعمال المعماريين المعاصرين، مثل "جان نوفيل"، نماذج ناجحة لإعادة تفسير المشربية في سياق حديث، حيث تم الحفاظ على جوهرها الوظيفي والجمالي، مع تطويعها لتتناسب مع المقاييس والتقنيات والمواد الحديثة. تُظهر هذه التجارب أن التراث المعماري ليس عبئًا يُقيّد الإبداع المعاصر، بل يمكن أن يكون مصدر إلهام ومنطلقًا لابتكار حلول معمارية مستدامة تلبي احتياجات العصر.

ولهذا تُشير التوجهات المعمارية الحالية إلى أن مستقبل المشربية سيشهد مزيدًا من التطور التكنولوجي، خاصة مع التوجه المتزايد نحو المباني الذكية والمستدامة. يمكن أن نتوقع مشربيات أكثر تفاعلية وذكاءً، تعتمد على تقنيات الذكاء الاصطناعي لتتكيف مع المتغيرات البيئية والاحتياجات البشرية، مما يحقق التوازن الأمثل بين الراحة البيئية وكفاءة استخدام الطاقة والتعبير عن الهوية الثقافية.

وعليه، توصلت الدراسة لمجموعة من النتائج، أهمها:

- ثراء العمارة الإسلامية بالإمكانات الإبداعية: إذ تتميز العمارة الإسلامية بتنوع مفرداتها التشكيلية والوظيفية، مما يجعلها مصدرًا متجددًا للإبداع يمكن إعادة توظيفه بأساليب حديثة؛

- الجذور العميقة للاستدامة في العمارة الإسلامية: حيث ترتكز العمارة الإسلامية على مبادئ الاستدامة، مما يؤكد إمكانية الاستفادة منها في التصاميم المعمارية المعاصرة الصديقة للبيئة .
- المشربية كعنصر معماري متجدد: أثبتت المشربية قدرتها على الاستجابة للظروف المناخية دون تأثيرات سلبية، مما يجعلها من أكثر العناصر القابلة لإعادة التشكيل والاستخدام في العمارة الحديثة .
- تكامل التكنولوجيا مع التراث: أدى دمج التكنولوجيا الحديثة مع الفلسفة الجمالية والوظيفية للمشربية إلى تطوير حلول معمارية مبتكرة تحمل الطابع العربي المميز .

5. الهوامش:

(1) سورة الواقعة، الآية 67

(2) سورة المرسلات، الآية 43

(3) شلباية محمد بدر، **التهوية والتبريد في الحضارة العربية الإسلامية**، عمان، دار اليازوري للنشر والطبع، 2011، ص30.

(4) الباشا حسن، **موسوعة العمارة الآثار والفنون الإسلامية**، أوراق شرقية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ،1990، ص284.

(5) عبدالرحيم غالب ، **موسوعة العمارة الإسلامية**، بيروت، مطبعة جروس برس 2000، ص384.

(6) يحي وزيري، **موسوعة عناصر العمارة الإسلامية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص 109.

(7) حسن لباشا، **موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية**، مرجع سابق، ص 284.

(8) محمد رزق عاصم، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة ، 2000 ، ص 286.

(9) نفسه .

(10) حسن الباشا، المرجع السابق، مرجع سابق، ص284.

(11) نيفين فرغلي بيومي، **التطبيقات المعاصرة للمشربية كموروث ثقافي**، مجلة العمارة والفنون والعلوم الانسانية، مج1، ع 01 ، 2016، ص352.

(12) كمال محمود كمال الجبلاوي، **موسوعة الأفكار الرمزية في العمارة المصرية بعد دخول الإسلام**، القاهرة، 2009، ص 67.

(13) أتاسوي نورهان وعفيف بهنسي، ميشيل روجرز، **الفن الإسلامي عن اليونيسكو**، باريس، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم و الثقافة، 1984، ص 29.

(14) الباشا حسن، مرجع سابق، ص ص 49-50.

(15) حمدوش زهيرة، **المشربيات في عمارة القصور بالجزائر**، مجلة تافزا للدراسات التاريخية والأثرية، مج01، ع1، 46-51 ، 2021، ص 50.

(16) نظيف عبد السالم أحمد، **دراسات في العمارة الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1989، ص 256.

(17) باكار أندريه،**المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة**، ترجمة سامي جرجس، دار اتوليبي، فرنسا ، 1981، ص 227.

(18) لحسيني مُحَّد أحمد، **الصناعات الحرفية الصغيرة فن خرط الخشب**، مكتبة ابن سينا للنشر ، القاهرة ، 1997، ص06.

(19) مرزوق عبدالعزيز، **الفنون الزخرفية في العصر العثماني**، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1974، ص 166.

(20) أبو بكر نعمات، **الفن العربي الإسلامي، فن النجارة والخشب** ، تونس،1997، ص 332.

(21) أبو بكر نعمت مُحَّد، **المنابر في مصر في العصرين المملوكي والتركي**، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، مصر، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1985، ص 547.

(22) عبدالعزيز شادية الدسوقي، **الأخشاب في العمائر الدينية بالقاهرة العثمانية**، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 2003، ص 115.

(23) شريفة طيان، **الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني** (دراسة أثرية فنية)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأثار الإسلامية، الجزائر، معهد الأثار، جامعة الجزائر، 2008، ص 170.

(24) شلباية مُحَمَّد بدر، المرجع السابق ، ص 29-30.

(25) عبد العزيز شادية الدسوقي، المرجع السابق، ص 104.

(26) مرزوق مُحَمَّد عبدالعزيز، **الفن الإسلامي تاريخه خصائصه**، مطبعة أسعد، بغداد ، 1965، ص 148.

[27] C.E. Arseven .(1939) .Les Arts décoratifs turcs, Istanbul : Les Arts décoratifs turc , P 201.

(28) عبدالحافظ عبد الله عطية، **دراسات في الفن التركي**، مكتبة النهضة المصرية، 2007، القاهرة،، ص 110.

(29) عبد الخالق حسين نصر ونيفين فرغلي بيومي، آيه جمال عبد الواحد، **تطبيق فلسفة المشربية فى العمارة المعاصرة**، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، ع32، 2022، مج07، ص106-107.

(30) نيفين فرغلي بيومي ، المرجع السابق، ص 349.

(31) خلود جمال مومني، **فنون المشربيات بين التاريخ والحداثة** ، المجلة الأردنية للفنون ،ع4، 2024، مج17، ص 508.

(32) سارة جلال عيد، مهدية مُحَمَّد أحمد النجار، مُحَمَّد سعيد شومان، **القيم الوظيفية للمشربية ودورها في إثراء واجهات الخزف المستدامة في العمارة المعاصرة**، مجلة الفنون والعلوم التطبيقية، ع04، 2024، مج 11، ص67- 68.

[33] Thomas Schielke 29) .May, 2014 .(Light Matters: Mashrabiyas- Traslating Tradition into Dynamic Facades تم الاسترداد من .ArchDaily: https://www.archdaily.com/510226/light-matters-mashrabiyas-translating-tradition-into-dynamic-facades